



على مر العصور والأزمان كان اليأس داءً عصالاً، إذا أصاب الإنسان أرداه صريراً كالآموات، وقد يقتل اليأس الأمل ويفتال روح التفاؤل الموجودة لديه، ويصرف أنظاره عن كل ما يدور حوله وعن ما يتوجب عليه من مسؤوليات تجاه نفسه وتجاه الآخرين، ويغريه في الأنانية والمنفعة الشخصية، ويبيت في داخله روح الدونية والتناقل إلى الأرض، ويقتل فيه الروح المعنوية والتي من خلالها يستطيع التغلب على المحن والتحديات التي تواجهه.

ولابد للإنسان أن يتحلى بالصبر والعزيمة وأن يلتجأ إلى الله خالقه عند المصائب والملمات، ولينظر إذا ضاقت عليه الدنيا في يوم ما وحاصرته التوائب والخطوب من كل حدب وصوب وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فهل يستطيع مخلوق في الكون مهما أöttى من القوة أو السلطة أن يدفع عنه ما ألم به من مرض أو فقد أو موت أو غير ذلك من نوائب الدهر؟

مهما اختلفت وسائل الإنسان وتنوعت طرق بحثه والتجائه ومهما علا صوت استغاثاته وكيفما ضرب في الأرض واتجه إلى شرق أو غرب وحاول جاهداً طرق جميع الأبواب سجدها موصدة مغلقة ولا جدوى له من السؤال والبحث عن مفتاحها، عندما يصل الإنسان إلى نهاية المسير عبر نفق مظلم، وينتهي به الحال إلى حافة الهاوية، عند هذه النقطة ..

تختلط الحياة بالموت ويمتزج اليأس بالأمل، فينتعق الإنسان من أغلال نفسه، ويتحرر من أهوائه وشهوته؛ ويخلص من شعور الحيرة والانحسار.

يستنير قلبه بسراج الإيمان ويترزود عقله بزاد المعرفة وترzin نفسه بثوب الفضيلة ليدخل معرك الحياة مبتغياً الخير لنفسه وللناس كافة.

كلما استطاع الإنسان أن يسمو بروحه ويرتقي بأحساسه ومشاعره سيتمكن من ملامسة انكسارات الآخرين وسماع

أصوات آهاتهم وملامسة أوجاعهم وهمومهم ، سيتمكن من تحطيم أسوار الذات وكسر صنم الأنما المترفع في داخله. ستسال أنهار دموعه في صحراء أحزانهم الفاحلة ، لتسري طاقة من الإيمان، يرتعش لها القلب وترتفع لها الأكف ويلهج بها اللسان ، تتحول إلى دعوة صادقة؛ تنطلق كوميض البرق لا تتوقف إلا عند من رفع السموات وبسط الأرض.

في هذه اللحظة !! يتلاشى عالم المادة وتتغير قوانينه الصماء، وما بين الكاف والنون يتبدل المشهد ويتتحول إلى ساحة معركة تدق فيها طبول الحرب، وطرفا النزاع فيها جنود السماء مع قوانين الأرض، لتنكسر بسيوف جنود السماء كل حواجز السبب والنتيجة التي كنا نظن أنها تهيمن على عالمنا وتقبض عليه بإحكام ، ومن هول ذلك المشهد ، يستحوذ علينا الاستغراب وتسسيطر علينا الدهشة ، لا غرابة ولا عجب ؟!

إن تجربة الخشوع الحقيقى تستلهم من التماهي مع الآخرين ، عندما يدرك الإنسان المعنى الحقيقى، سيكتشف أنه قد عرف الباب الحقيقى وأن مفتاحه في حوزته. إنه باب .. السماء و مفتاح هذا الباب هو.. الدعاء
من الذي استخدم مفتاح الدعاء ولم يفتح له باب السماء؛!!

(وإذا سألك عبادي عنِي فإني قريب أجيِّب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليرؤُمنوا بي لعلهم يرشدون)البقرة:186

المصادر: